الأميرة ذات الهمه

الجزء الخامس


نفرو للنشر والتوزيع

٢٠٠٥

الأميرة ذات الهمه



الإشراف العام : محمد الحسينى

المراسلات :

٢١ ش الصناديلى بالجيزة

١٧ ش العطار بالجيزة

ت : ٣٥٧١٢٦١٨

موبايل : ٠١٠٢٣١٣٥٧٩

الموقع الإلكترونى :

www.ostazi.org/darnefro

البريد الإلكترونى :

dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

اسم الكتاب : الأميرة ذات الهمة

اسم المؤلف : عبدالله السيد

رقم الإيداع : ١٦٣٩٥ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى : 977-6196-34-9

تصميم الغلاف : كامل جرافيك

جمع إلكترونى : سوفت أيماج

الطبعة الأولى

٢٠٠٧

كان موقف الأميرة الملثمة « ذات الهمة » هذه المرة .. صعباً للغاية لاتحسد عليه .. فهى الآن مع رجالها من بنى كلاب «والسودان» .. بين جيشين جبارين .. جيش «هارون الرشيد» شرقاً .. يطلب رأسها رءوس رجالها لمخالفتها إياه بأسرها عقبة اللعين مستشاره المفضل .. وجيش «الروم »غرباً الذى يريد القضاء عليها وعلى رجالها لأنهم القوة الضاربة لجيوش العرب .. وهى فى نفس الوقت تريد الإسراع لتحرير مدينة (ملطية) بعد أن استولى عليها «الروم» وأسروا من فيها من قوم «ذات الهمة» .

دخل أحد جنودها إلى مجلسها بين رجالها « الأمير عبدالوهاب » و «أبى محمد البطال » و « أبى الهزاهز » و«هياج الكردى» وغيرهم قائلاً بلغة عسكرية :

ـ رسول من عند السلطان هارون الرشيد يا سيدتى .

تعجب الجميع وقالت الأميرة فوراً .

ـ ليدخل الرسول إلينا حالاً / دخل الرسول وحيا الجميع ثم قال .

ـ إن مولاى السلطان يقدر مواقفكم السابقة وجهادكم فى سبيل

الله .. ويعرض عليكم الصلح والانضمام لجنوده .. لحرب العدو

قالت الأميرة :

ـ لامانع لدينا وهذا غاية مرادنا .. وتوحيد قوى المسلمين ضد العدو .

فقال الرسول :

ـ ولكن مولاى السلطان يشترط يا سادتى إطلاق سراح الشيخ الجليل (عقبة) معززا .. مكرما.

هنا انتفض «عبدالوهاب» غاضباً .

ـ هذا لن يكون أبدا .. فهذا المنافق الفاسق .. جاسوس «الروم » ليس له إلا القتل .. ولقد أقسمت أن أعلق جثته على باب «القسطنطينية» بعد فتحها إن شاء الله .

قال الرسول متسائلاً :

ـ هل هذا ردكم النهائى سيدتى الأميرة

فأجابت ذات الهمة :

ـ نعم أيها الرسول .. إن أرادنا السلطان عوناً له سنكون له جنوداً مخلصين كما كنا .. ولكننا لابد لنا من محاكمة هذا المنافق اللئيم «عقبه».

نهض الرسول وقفز على حصانه وانطلق شرقاً ..

جلس الجميع فى وجوم .. لعدم إكمال الصلح مع السلطان «هارون الرشيد» .. اتجهت «ذات الهمة» إلى «أبى محمد البطال» متسائلة :

- ما قولك يا «أبا محمد»؟ .. ما رأيك فيما حدث ؟

قال «أبو محمد البطال» .

- لن يقبل «هارون الرشيد» إلا الطاعة له ولإرادته .. لذلك لنتيقن أنه سيشن علينا حرباً بأسرع ما يمكن فلنستعد له فى صباح اليوم التالى دخل المجلس أحد الجنود معلناً

- رسول من عند ملك «الروم».

تلفت كل مَنْ فى المجلس إلى الجالسين حوله فى عجب شديد

وقالت «ذات الهمة» :

- ليدخل الرسول إلى مجلسنا فوراً .

دخل الرسول إلى الأميرة قائلاً :

- إن ملكنا المبجل يعرف مدى كراهية «هارون الرشيد» لكم وإصراره قطع رءوسكم .. لذلك يعرض عليكم مولاى الملك حمايتكم

على أن تعاهدونه بالصلح والحرب إلى جانبه ضد عدونا المشترك «هارون الرشيد».

في هذه اللحظة قفز الأمير «عبدالوهاب » و «أبو الهزاهز» وكل منهما شاهراً أسيفه .. لقتل الرسول الرومي.

فنهرتهما «الأميرة ذات الهمة » بقوة قائلة :

ـ ليُغمد كل منكما سيفه .. وليجلس مكانه في صمت .. نحن يا سادة قوم لانقتل الرسل .. فلنهدآ

ثم اتجهت إلى الرسول قائلة :

ـ لتبلغ مليكك .. إننا عرب مسلمون ونحن جنود« هارون الرشيد» ولن يثنينا عن الجهاد في سبيل الله اصطيادكم في الماء العكر .. فنحن مع «هارون»ضدكم حتى يتم النصر لنا بإذن الله .

بعد خروج الرسول نسائل عبدالوهاب قائلاً :

ـ كيف ذلك .. كيف نحارب مع «هارون الرشيد » وهو يزحف الآن للقضاء علينا.

فقال «أبو محمد البطال» ضاحكا :

ـ هذا أمر بسيط .. أنا أعرف ما يدور في ذهن الأميرة «ذات الهمة»..

سنهاجم نحن «الروم» قبل وصول «هارون الرشيد».

قالت «ذات الهمة» :

ـ صدقت يا «أبا محمد» ولكن عندى إضافة أخرى .. وهى أننا لن نهاجم «الروم» مواجهة ونضع أنفسنا بين فكى كما شة .. سنهاجم «الروم» من الشمال .. بعيداً عن جيش «هارون» .. ويجب أن يكون هجومنا سريعاً خاطفاً لإنهاء المعركة بسرعة .. حتى نتمكن من الذهاب لتحرير مدينة «ملطيه» من أيدى «الروم» .. لنرحل شمالاً حالاً .. فإن الوقت يداهمنا .

وهكذا رحلت «ذات الهمة» برجالها من «بنى كلاب» والسودان بأسرع ما يمكن شمالاً .. حتى يمكنهم العودة جنوباً لمداهمة جيش «الروم» واستغلال عامل المفاجأة .. كان الاتجاه شمالاً وسط الغابات سهلاً فى بادئ الأمر .. إلى أن بدأت برودة الهواء تشتد كلما توغلوا فى هذه الغابات الشاسعة .. لم يقابلوا فى توغلهم .. أى قرى .. وكأن هذه الغابات مهجورة تماماً من البشر .. وبدأ الثلج يتساقط ويفترش الأرض تماماً .. إضطرت «ذات الهمة» ورجالها لارتداء الملابس المصنوعة من جلود الحيوانات .. لم يكن الجليد وحده يهدد القافلة ولكن الخوف من نفاد الطعام والأعلاف هو العدو المنتظر .. ازدادت شدة البرودة .. وتراكمت الثلوج على ملابسهم ووجوههم اقترح

«أبو محمد البطال » الاتجاه غرباً للعودة لمهاجمة جيش «الروم» .. ما أن ساروا غرباً نصف يوم .. حتى واجههم جبل شاهق مغطى تماماً بالجليد .. كان لابد لهم الالتفاف حوله حتى يمكنهم العودة جنوبا .. ساروا يوما .. ثم يوماً .. ثم بعض يوم ..أليس لهذا الجبل نهاية ؟ .. لم يعد أمامهم إلا أحد خيارين .. إما العودة من حيث أتوا أو الاستمرار.. إلى مالا نهاية .. لقد فقدوا الآن عنصر المفاجأة .. ولابد وأن تكون الحرب بين العرب و«الروم».. الآن على أشدها .. ولكن كيف العودة ومن الواضح أنهم قد فقدوا الطريق فى هذه البلاد الباردة.

كان الأمير «عبد الوهاب » قد انفصل عن القافلة .. مع بعض الفرسان خلسة .. وسبق الجميع بسرعة البرق .. كاد اليأس يدب فى قلوب القوم .. من وجود مخرج لهم .. وما لبثوا فى صباح اليوم التالى أن سمعوا أصوات حوافر خيل مقبلة .. وصياح «عبدالوهاب» قائلاً :

ـ هيا أسرعوا .. اتبعونى .. لقد وجدت مخرجاً .. هيا اتبعونى تبعه الجميع حيث ممر ضيق غير مرئي .. لايمكن اكتشافه وكأنه شق فى الجبل الهائل..

دلف الجميع إليه .. إنه يتجه جنوباً حيث وجهتهم .. كان صغير الهواء البارد يكاد يصم آذانهم .. لم ينقض النهار حتى بدأت لهم

نهاية الممر الضيق جهة الجنوب .. خرج الجميع إلى أرض جرداء عجيبة .. ليس فيها الإجذوع أشجار ضخمة قد هوت فى هذه المستنقعات فأصبحت أكواماً عالية من الأشجار الميتة.

كان المكان مظلماً .. ظن الجميع أنه الليل قد أقبل .. فعكسر الجنود فى هذه الأرض الجرداء العجيبة .. انتظاراً للصباح أن ينبلج بنور الشمس .. اضطروا للسير فى هذا الجو المظلم .. إرتفعت لهم الأرض .. وكأنهم يصعدون هضاباً .. ولا يبدو أن هناك أملاً فى ظهور نور الصباح.

ثم على حين فجأة انحدرت الأرض إلى مكان منخفض شديد الاتساع .. تتوسطه كتلة سوداء ضخمة وسط بحيرة من الضباب .. تزداد ضخامة .. ولايمكن معرفة أى معالم لها .. كلما هبطوا إليها وقد أصبح الجو خانقاً مشبعاً برطوبة لزجة مقززة .. وضباب كثيف لايمكن الرؤية خلاله كلما تقدموا .. فجأة صاح «أبو محمد البطال» قائلاً:

- انظروا . إنها قلعة .. نعم والله .. إنها قلعة .. لابد من وجود أناس بها .. الحمد لله .. لن نموت جوعاً هيا .. أسرعوا..

أسرع الجميع هابطاً .. لقد كان باب القلعة مفتوحاً غير مغلق .. أشارت «ذات الهمه» .. بأن تدخل هى ورجالها إلى القلعة على أن

يعسكر بقية الجيش خارج القلعة .. تحسباً لأية مفاجأة.

دخلت الأميرة «ذات الهمة» مع فرسانها إلى هذه القلعة فى تأنٍ وحذر .. كان الناس هنا يتحركون فى صمت غريب الكل يعمل وكأنه منوم .. لم يلتفت أحد إلى دخول الأميرة ورجالها لم يهتم أحد بهم .. تعجب الرجال .. نادى بعضهم على أهل القلعة .. لم يجبهم أحد .. بل لم يلتفت إليهم أحد .. حينما وصلت الأميرة ورجالها إلى وسط الميدان.. رأوا جنوداً يحملون سلاحاً .. فى حراسة مبنى كبيرا يشبه القصر .. وضع فوقه صليب حجرى كبير .. أمام هذا المبنى نصبت ثلاث مشانق .. تتدلى منها ثلاث جثث لرجلين وامرأة .. وقد بدى على الجثث التعفن الشديد .. مما يدل أنها قد شنقت وتركت هكذا منذ مدة.. أمام المشانق نصبت أربعة آلات تعذيب وقد علق فى احداهم رجل كبير السن عارى البدن .. وقد أحكمت الآلة بقوة على رقبته ويديه ورجليه .. يجلده أحد الجنود بسوط من الجلد القرمى .. لم تحتمل «ذات الهمة» ورجالها هذا الموقف فاندفعت بقوة إلى الجندى .. وضربته بصفحة السيف أسقطت من يده السوط .. وضربت محابس آلة التعذيب بسيفها كسرتها .. فسقط الرجل الكبير أرضاً وسط الوحل الممزوج بالدم .. كما صعد كل من الأمير «عبدالوهاب» و«أبو محمد البطال »و«أبو الهزاهز » إلى المشانق

فأنزلوا الجثث .. ترجلت «ذات الهمة» عن فرسها .. مسرعة إلى الرجل الكبير رافعة رأسه من الوحل .. صارخة فى القوم الذين تجمعوا حولها وكأنهم أفاقوا من النوم للتو

- ماء .. إلىَّ بالماء .. هيا بسرعة.

خرج على هذه الضجة راهب من المبنى الكبير صائحاً

- ما هذا ؟ .. ومن أنتم ؟ .. ..كيف تعيقون تنفيذ أمر الرب بمعاقبة هؤلاء الكافرين .

نظرت «ذات الهمة» ورجالها إلى الرجل القادم مسرعاً ..كان رجلا صغير الحجم معقوف الأنف مستدير العينين الغائرتين كعيون القرد.. ذات بريق عجيب مرعب .. قد بدا فمه بلا أسنان سوى سنتين وحيدتين فى كلا فكيه كان شكله يثير الرهبة فى الناس .. الذين سجدوا لحظة ظهوره .. فى رعب وخوف . فى هذه اللحظة هجم عليه كل من « الأمير عبدالوهاب » .. «وأبى محمد البطال» .. حيث لطمه «عبدالوهاب» لطمة كاد يسقط منها أرضاً .. لولا أن التقفه «أبو الهزاهز» بيده ورفعه من ملابسه عن الأرض فصار معلقاً فى يده الضخمة .. كان الرجل يصيح بالجنود :

- أيها الجنود .. اقبضوا عليهم .. إنهم كفار ..كفار

هاجم الجنود «ذات الهمة» ورجالها .. ولكنهم لم يستطيعوا أبداً الاقتراب منهم .. فقد كان كل من يحاول مهاجمتهم ينالهم من ضربات سيوف الرجال ما يردعهم .

أفاق الرجل الكبير .. ونظر حوله .. ثم بدأ يتحدث إلى «ذات الهمة» بلغة عربية :

- من أنتم ؟ لقد بعثكم الله لنجدتنا.

فقالت «ذات الهمة» متسائلة

- بل من أنتم ؟ .. ولماذا تعاقبون بهذه القسوة .

قال الرجل :

- نحن يا سيدتى تجار عرب .. ساقتنا الأقدار إلى هذه القلعة المفقودة .. رغم تحذير الناس لنا بعدم دخول بلاد التيه هذه .. فقد قالوا إنه من يدخلها مفقود فيها .. ولن يستطيع الخروج منها أبداً.

قال «أبو محمد البطال» :

- إذاً هذا هو سبب ترك باب القلعة مفتوحاً حيث لن يستطيع أحد الهرب أبداً .. نعم .. لقد سمعت عن هذا المكان وأن من يدخله لايخرج منه حتى الممات .. فنهضت «ذات الهمة» واتجهت إلى الراهب المعلق فى يد «أبى الهزاهز» الضخمة قائلة:

- من أنت ؟ .. وماذا فعل هؤلاء ليُفعل بهم هكذا

قال الرجل بعد أن أنزله « أبو الهزاهز» :

- هؤلاء كفار .. إنهم يرفضون إطاعة أوامرى أنا الراهب الأعظم (شومدرس) نائب الرب فى هذه الأرض .. هؤلاء كفار أنجاس لابد من تطهير أجسادهم النجسة لطاعة الرب وطاعتى أنا نائبه الأعظم.. إنهم كافرون.

قال الرجل الكبير مقاطعاً:

- كلا يا سادتى .. نحن لسنا كفاراً .. نحن مسلمون موحِّدون وهذا الفاسق يريد إرغامنا على الدخول فى دينه وطاعته

تساءل «أبو محمد البطال» :

- وهل يوجد غيركم هنا ؟

أجاب الرجل وهو يشير بيد واهنة إلى أحد الأبواب الخشبية الضخمة :

- نعم يا سيدى .. إن بقيتنا محبوسون هناك خلف هذا الباب الرهيب

قال عبدالوهاب مستغرباً .. فقد كان الباب مصمتا تماماً :

- ماذا تقصد هنا .. هذا باب مصمت ليس له مقابض أو أقفال أو

حتى مفاصل .. إنه ليس إلا كتلة خشبية

ـ قال الرجل :

ـ نعم سيدى لقد سدوا عليهم به حتى لايمكن فتحه أبداً .. برجاء أسرعوا .. أنقذوهم .. أرجوا أن لايكونوا قد ماتوا جميعاً

نهضت «ذات الهمة» صائحة :

ـ «أبو الهزاهز» .. «عبدالوهاب» ..هيا .. حطموا الباب

هرول الراهب «شو مدرس» واقفا قباله الباب بينه وبين الرجلين حامياً للباب بكل جسده وقائلاً:

ـ كلا .. لقد أمر الرب بحبسهم فى جهنم .. لقد أقفله الرب مستخدماً يدى ويدى رجالى .. على الكفار . يجب دفنهم أحياء

أمرت «ذات الهمة» رجالها بالقبض على الراهب «شو مدرس» وتعليقه بآلة التعذيب قائلة :

ـ اقبضوا على هذا الراهب الكاذب وعلقوه على آلات التعذيب .. لنذيقه مما أذاق الناس.

قام الأمير «عبدالوهاب »و«أبو الهزاهز» بتحطيم الباب الضخم.. فإذا هو مدخلا لقبر مظلم .. دخلت «ذات الهمة» .. ورجالها إلى القبر .. لم يستطعا إحتمال الرائحة التى انبعثت من الداخل .. رائحة نتنة .

تماماً كرائحة القبور .. كان القبر محبسا شديد القسوة .. وقد علق الناس فيه من أيديهم بسلاسل حديدية ضخمة مثبتة بالحوائط .. وتدلت أجسادهم المهترئة .. وقد مات أكثرهم ..إن لم يكن ألماً فجوعاً أو عطشاً .. كانت مئات الفئران تنهش معظم الجثث .. غطى الجميع أنوفهم بعمائهم من شدة الرائحة .. ثم فك قيود الأحياء منهم .. ونقلهم خارج القبور وهم على شفا الموت كما أنزل الموتى من قيودهم.. صاح «أبو محمد البطال» من أحد الزوايا قائلاً :

ـ هنا .. ها هنا

هرع الجميع إليه .. كان هناك محبساً منفرداً ..تحت الأرض مغطى بقضبان حديدية .. ثم كسر القفل .. ونزل «عبد الوهاب» مع «أبى محمد البطال» بالحبال ومعهم المشاعل . كان هناك عدة هياكل عظمية .. وجثه رجل عجوز .. فى زاوية من المحبس شوهد القش يتحرك .. ظن الجميع أنها فئران .. رفع « أبو محمد البطال» القش .. كان هناك صبياً صغيراً .. تغطى القازورات كل جسده .. يقبع فى أحضان امرأة .. رفع الأمير «عبد الوهاب » الصغير قائلاً:

ـ إنه حى .. لم يمت بعد ..ولكن يبدو أن هذه أمه وقد ماتت.. اقترب «أبو محمد البطال »وتحسس جسد المرأة المغطى أيضاً بالقازورات قائلا :

- لا .. إنها مازالت حية .. ولكنها على وشك الموت ..هيا لنخرجها من هنا بسرعة.

ما لبثت المرأة أن أفاقت وروت «لذات الهمة» حكايتها .. كان الرجل العجوز الذى مات بالمحبس هو والدها حاكم هذه البلاد الغريبة .

قالت المرأة :

- لقد حكم الله على بلادنا بالتيه والاختفاء عن العالم .. لم يستطيع أحد من بلادنا الخروج أبداً إلى ماوراء الجبل .. وإلا فإنه لن يجد طريق العوة أبداً .. وستكون نهايته أن تأكله الذئاب المتوحشة.

تساءلت «ذات الهمة » فى حزن ورقة وهى تزيل القازورات عن وجه الفتاة :

- ولكن من أنت يا فتاتى ؟ . ولماذا تم حبسكم هكذا

أجابت الفتاة بشئ من الوهن الشديد

- أنا (سامنتا) ابنة حاكم البلاد .. إنه الرجل الكبير الذى ..

هنا أجهشت الفتاة بالبكاء حينما جاءت على ذكر أبيها .. هدأت من روعها «ذات الهمة ».. لكن الفتاة صاحت فجاة وأرادت النهوض ولكن قواها لم تساعدها قائلة

- ولدى ! .. ولدى ! .. أين ولدى ؟ .. هل مات؟ أين هو ؟ احتضنتها

«ذات الهمة» قائلة :

- إهدئى .. يا بنيتى .. لاتخافى .. ولدك بخير .. إنه فى أمان ولدك لم يمت إنه بخير.

هدأت الفتاة .. ثم مالبثت أن أجهشت بالبكاء وحينما هدأ بكاؤها سألتها «ذات الهمة».

- ولكنك لم تجيبى على سؤالى .. لماذا ثم حبسكم هكذا

- لقد طرد أبى الفاسق اللص (شو مدرس) من بلادنا هو ورجاله فقد كان شاباً فاسقاً ولصاً كبيراً ..لم يكن فى بلادنا عقاباً إلا الطرد من البلاد .. ثم بعد عدة سنوات .. عاد هذا اللص مدعيا أنه كاهن وأنه رسول الرب للبلاد .. واستطاع أن يستميل الفلاحين والبسطاء إما بشعوذته أو بجنوده القساة الذين بثوا الرعب فى قلوب الناس.. إن هذا الرجل سيدتى يعتبر أخبث مخلوق على وجه الأرض .. ويجب عليكم يا سيدتى الحذر الشديد منه ومن ألاعيبه فإنه بعد عودته وادعائه أنه رسول الرب التف حوله الناس وصدقوا ألاعيبه .. ثم إنه فى ليلة من الليالى ظل يقوم بحركات غريبة مدعياً أن الرب قد اختاره ملكا لبلاد .. وقام ببعض ألاعيبه حتى صدق الناس أنه رسول الرب إليهم وهكذا قبض هو وجنوده على أبى الذى هو ملك

البلاد وعلى رجاله وعلينا جميعاً وحبسنا .. مدعياً أنه ينفذ مشيئة الرب وحبسنا فى هذا القبو .. وحينما قرصنا الجوع كنا نأكل الفئران حتى أتيتم أنتم وحررتمونا

وقفت «ذات الهمة» صائحه بغضب :

ـ أين هذا الراهب (شو مدرس) ..ها هو ذا . إسمع يا« أبا الهزاهز» خذ السوط واجلده به .. حتى يذوق طعم العذاب الذى أذاقه لهؤلاء الناس .

صرخ (شومدرس) قائلاً :

ـ كلا .. أرجوكم ..ارحمونى .. أنا لن أحتمل ضربة سوط واحدة.
أقبلت امرأة من داخل القصر وهى تصرخ وتولول .. وألقت بجسدها تحت أقدام «أبى الهزاهز» قائلة :

ـ لاتضربه .. أرجوك إنه شيخ كبير .. إنه راهبنا المبجل لايجب ان يضرب بالسوط.

قذفها «أبو الهزاهز» بقدمه الضخمة فطارت فى الهواء أمتاراً .. ثم استقرت تحت أقدام «ذات الهمة» .. ورفع «أبو الهزاهز» السوط الضخم وكاد يهوى به على جسد (شو مدرس) العارى بل هوى به على الأرض بجوار قدميه.. وصرخ الرجل صرخة واحدة ثم بكى

بشدة.. قائلاً فى توسل شديد.

- أرجوكم .. ارحموني .. لاتقتلوني . ضربة أخرى وستزهق روحى.. اتركوني أعيش .. وسأدلكم على مكان كنز كبير لايعرف أحد سواى مكانه أجابت « ذات الهمة »:

- لسنا فى حاجة لكنزك هذا .. هيا يا« أبا الهزاهز» أبدأ ضربه .. وإنتقم لهؤلاء المساكين الذين وقعوا تحت وطأة قسوته وظلمه.

تقدم «أبو محمد البطال » من الأميرة «ذات الهمة» وهو يخاطب «أبا الهزاهز» قائلاً :

- إنتظر قليلا يا «أبا الهزاهز» .

ثم انفرد بالأميرة جانباً قائلا لها :

- سيدتى .. هذا الظالم سيموت حتماً عند أول ضربة ولكن ما المانع أن يدلنا على كنزه هذا المزعوم .. فإن وُجِدَ.. سنأخذ المال ونوزع منه على أهل القلعة ونترك الباقى لابنة .. ملك القرية لتكون هى الملكة.. وأعتقد أنها ستحكم بين أهلها بالعدل فقد ذاقت الظلم وعرفت معناه.

استصوبت «ذات الهمة » رأى «أبى محمد البطال» فاتجهت إلى الراهب الذى كانت زوجته تحتضنه بشدة خوفاً عليه متسائلة

- اسمع أيها الخسيس .. ستدلنا على الكنز وإن كنت كاذبا أعدناك

إلى هنا واستكملنا عقابك .. فما قولك ؟

قال الرجل مع امراته فرحاناً فى صوت متسارع متبادل

- كلا يا سيدتى .. نقسم لك إنه موجود .. وإن لم ندلك عليه عاقبينا نحن الاثنين بما ترينه . نعم عاقبينا كلانا

قالت «ذات الهمة» فى صوت واثق ثابت.

- كلا .. كلا .. إنك لاتستحق الرحمة .. لابد من عقابك

بكى الرجل وامرأته .. ثم قال فجاة :

- اسمعى أيتها الفارسة .. عندى لكم .. ما هو أهم وأفضل من كنوز الدنيا.

- اقترب منه «أبو محمد البطال» قائلا بعد أن رفع وجهه جاذباً لحيته:

- ماهو أيها الراهب ؟

قال الراهب بعد تردد :

- اننى . إننى ممكن أن أدلكم . على كيفية الخروج من بلاد التيه هذه.

صرخت فيه زوجته بعنف .

ـ اصمت .. اصمت يا سيدى .. لاتنطق بشئ

هاجمها «أبو الهزاهز » مرة أخرى مهددا .. فهرولت وانزوت خلف «ذات الهمة» .. وهنا أكمل (شو مدرس) :

ـ إننى الوحيد الذى يعرف طريق الخروج والعودة .لقد ولدت هنا فى هذه البلاد .. وقد دلنى على الطريق سيدى الراهب الأكبر رحمه الله .. الذى علمه له سيدنا المسيح

صفعه «أبو محمد البطال» على وجهه بقوة قائلا :

ـ اصمت أيها المخرف .. أقسم إن كنت كاذباً .. سينالك منى أقسى أنواع العذاب التى لم ولن تحلم بقسوتها أبداً

قالت ذات الهمة :

ـ فكوا قيده ولنذهب معه لإحضار كنزه إنه من حق أهل القلعة وإلا أذقناه مر العذاب

.. قام التجار العرب بتحذيرهم من الذئاب المتوحشة المنتشرة فى هذه البلاد فإنهم قاسوا منها كثيرا .. وقد قضت على الكثير منهم

ركب الجميع .. وتبعوا الراهب .. فى هذا الجو المعتم .. والضباب الكثيف بدرجة لم يكن يعرف أحدهم أين هم ؟ .. وإلى أين يسيرون؟ .. وفى أى اتجاه هم متجهون . ليس هناك حولهم ما يرونه .. بل إنهم

كانوا يسيرون على وقع أقدام الخيل .. وقد ربط« أبو محمد البطال» الراهب من وسطه بسلسلة أمسكها فى يده حتى لايهرب منهم فى هذا الظلام والضباب قالت «ذات الهمة» بصوت خفيض حذر :

ـ هدوءاً .. ليصمت الجميع .

قال عبدالوهاب متسائلاً .. متوجساً :

ـ ماذا ؟ .. لماذا توقفنا ؟

أجابت «ذات الهمة» هامسة :

ـ إنها الذئاب .. إنها تراقبنا .. تحيطنا من كل جانب

ستهاجمنا حتما في أي لحظة .. فلترفع يا «عبد الوهاب» الراهب معك على جوادك .. يجب حمايته.

وبالفعل بدأ الجميع يسمع صوت زمجرة الذئاب حولهم من كل جهة .. فجأة ..هجمت الذئاب جميعا علي القافلة .. نهش ذئبان كفل أحد الجياد ..كبا الجواد علي ركبتيه .. قفز الفارس أرضاً وتلقى الذئب الثالث بسيفه .. عوى الذئب وسقط صريعاً .. كان عدد الذئاب كبيراً .. ولها شكل مختلف عما يعرفونه من ذئاب .. فقد كانت بحجم الدببه وقريبة الشبه منها أكثر من الذئاب .. وقف «أبو الهزاهز» بين الفرسان .. صار يصرخ ويزمجر بالذئاب وكأنه يبادلها زمجرة .. كان

يستقبل الذئاب بيديه العاريتين فيقسم رقبة هذا .. ويمزق فم ذلك .. وهو يزمجر وكأنه واحدا منهم .. أعملت «ذات الهمة» وبقية الفرسان السيف في الذئاب .. وكانت مهمة الأمير« عبد الوهاب »حماية الراهب.. يدافع عنه بسيفه من كل جهة .. يأتى منها الذئاب على حين فجأة انسحبت الذئاب واختفت وسط الضباب بعد أن خسرت عدداً كبيرا من أفرادها .. أشار الراهب قائلا .. وهو ينتفض رعباً:

– لنترك لهم الجواد الجريح .. ونسرع بعيداً عن هنا سينشغل الذئاب بالتهامه حتى نبتعد .. لن نكون في أمان إلا بعد أن نصل المغارة .

قالت «ذات الهمة» متسائلة .

– أية مغارة ؟

أجابها الراهب

– هيا معى .. بسرعة .. لنبتعد من هنا .. فإن الذئاب لن تلبث أن تهاجمنا مرة أخرى .. هيا أسرعوا أسرع الجميع خلف جواد «عبد الوهاب» .. واختفوا في الضباب الكثيف .. مازالوا يشعرون بالذئاب تحيطهم .. ويسمعون زمجرتها ومواءها عن بعد .. وعن قرب .. رغم سماعهم أصوات الذئاب .. وتتعارك علي التهام الجواد بصراخ وزمجرات رهيبة ما لبث أن قال «الراهب» :

- هنا .. هيا .. ترجلوا .. أسرعوا .. لندخل قبل أن تلحق الذئاب بنا

ظهر للجميع في وسط الضباب مدخل صغير لمغارة في جبل .. قد ظهر لهم فجأة من وسط الضباب .. دخل الجميع .. وألقي كل منهم بجسده إلى الأرض وسط المغارة من الإرهاق .. أحضر «الراهب» بعض المشاعل قائلاً :

- هيا .. أشعلوا هذه المشاعل .. حتى لا تهاجمنا الذئاب هنا

أشعل الرجال المشاعل .. فظهر لهم حجم المغارة الهائل من الداخل..فعكف بعض الرجال على تضميد جراحهم من أثر هجمات الذئاب.. وربط كل منهم جراحه بأقمشة مزقوها من أعبيتهم .. ثم ساقوا الخيول إلي مكان عميق داخل المغارة التى كانت تشبه الميدان الفسيح .

لاحظ «أبو محمد البطال» .. ابتسامة غريبة على وجه«الراهب».. وهو يراقب الجميع في صمت.

أخرج الراهب بكرة خيوط ومسامير من حقيبته ومطرقة دق الرجل مسامير في أربعة أماكن .. عليها علامات صغيرة على بعض جدران المغارة ثم قام بشد خيطاً طويلا بين كل مسمارين.. كانت المسافة بين المسامير شاسعة .. لما أتم شد الخيوط تقاطعت في مكان

غريب .. دق فيه مسماراً كبيراً في أحجاراً أرض المغارة .

وحطم حجراً صغيراً علي أحد الجدران حيث ظهرت علامة أخرى خلف الحجر .. شد خيطاً آخر إلي المسمار الكبير ثم قاس منه ثلاثين خطوة .. استغرق الراهب ساعات كثيرة في هذه القياسات العجيبة .

ثم نادى الرجال قائلا :

– هيا .. احفروا هنا .. تماماً في هذا المكان وثب «السودان» وبدؤوا بخناجرهم وأسلحتهم فما هي إلا ساعة حتى ظهر لهم .. حجر ضخم مربع الشكل له أربعة حلقات معدنية.. تعاون الرجال في رفع الحجر الضخم الذى ظهر تحته درج حجرى يؤدى إلى أسفل..

أسرع« الراهب »قائلا .. بفرح شديد وابتسامة المنتصر:

– هيا هنا .. لقد قلت لكم .. هنا كنزكم الموعود .. هيا اتبعونى .. لا تضيعوا الوقت

التفتت «ذات الهمة» إلى «أبى محمد البطال » قائلة :

– إذاً لقد صدق الرجل .. حتى الآن .

أمن «أبو محمد» قولها قائلا :

– نعم .. حتى الآن

نزل الجميع الدرجات الحجرية الضخمة التى زاد عددها عن المائة

.. لقد كان المكان سحيقاً جداً .. بدأ« أبو محمد البطال» يشعر بشئ غريب بداعب عقله.. فأمال رأسه إلى «عبد الوهاب» قائلاً له بصوت خفيض:

– أنا لست مرتاحاً..

فساله الأمير «عبد الوهاب» قائلا :

– كيف هذا ؟ .. فيما تفكر ؟

أجاب« أبو محمد البطال» .

– لست أدرى .. ولكن هناك شئ ما في صدرى ينذرنى بشر مقبل عموماً .. هيا لنلحق القوم قبل أن يلمحنا هذا الخبيث كانت خيوط العناكب تملأ المكان.. فظلوا يحرقونها بمشاعلهم في أحد الأركان شوهد هيكلان عظميان .. سرت قشعريرة في بدن الرجال جميعا .. في الجدار المواجه كان المخرج مغلقاً بقضبان حديدية ضخمة قطر كل منها كزراع رجل .. حاولوا رفعها ولكنها كانت لا يمكن تحريكها .. حتى لو أحضروا لها الأفيال .

ابتسم الراهب (شو مدرس) وقال :

– لا ترهقوا أنفسكم .. إن لها طريقة لفتحها هناك في أعلى ذلك الجدار

نظرالجميع إلى أعلى .. ووجهوا المشاعل .. كان هناك سلماً خشبياً طويلا يصل إلي أعلى الجدار حيث شاهدوت حجراً صغيراً أزرق اللون .. أكمل الراهب قائلا :

– سأصعد إلى أعلى وأعالج هذا الحجر .. سيرتفع الحديد هكذا ببساطة .. لأنه المفتاح الوحيد لهذا المخرج .

واتجه الرجل بعد ذلك إلى السلم الخشبى وبدأ الصعود .. راقبه «أبو محمد البطال» دقيقة بتوجس ثم قال :

– انتظر أيها الراهب سآتى معك .

كان الراهب قد قارب على نهاية السلم فقال :

– لا مانع اتبعنى .. ولكن على مهل حتى لا ينكسر بك السلم ثم مد الراهب يده إلى الحجر الأزرق فأداره إلى اليمين فإذا بصوت دوى هائل عند المدخل الذى دخلوا منه أعلى الدرج .. صاح الراهب بقوة

– المدخل .. أسرعوا .. قد ينغلق علينا

أسرع الجميع على الدرجات المائة فى هرج وصياح مع هذا الصوت الهادر ..فإذا بالمدخل يغلق بقضبان حديدية تماماً مثل التى أمامهم في المخرج .. نظر « أبو محمد» إلى الراهب حيث انفرجت الأحجار أعلى السلم ببطء ودلف منها الراهب صعد أبو محمد وهو

يسرع إلى أعلى السلم .. حيث بدأت الأحجار تنغلق مرة أخرى ببطء والراهب في الداخل .. صاح« أبو محمد البطال »:

– إنتظر أيها المخادع .. الكاذب

ضحك الراهب جداً .. ودفع السلم الخشبى بعيداً عن الحائط فسقط إلى الأرض مهشما.. وسقط معه «أبو محمد البطال» وهو يتأوه من شدة الألم

أثناء إنغلاق الأحجار البطئ علي الراهب تحدث إليهم مستهزئا :

– وداعاً أيها الحمقى .. أنبئكم .. بأنكم ستموتون غرقا هنا .. الوداع أيها الكفار .. هاها

وهكذا إختفى الراهب داخل الجدار .

تجمع الرجال حول «ذات الهمة » .. في هذا المحبس العميق كالبئر الغائر تحت الأرض قالت «ذات الهمة» لرجالها :

– هيا يا رجال لنتعاون جميعا على رفع هذه القضبان الضخمة .. هيا يا« أبا الهزاهز».. هيا يا «عبد الوهاب» يا بنى .. أريانى قوتكما

حاول الرجال بكل ما لديهم من قوة .. حتى أن « أبا الهزاهز» قد دميت يداه ..من قوته وشدة المحاولة .. ولكن القضبان لم تتحرك قيد أنملة.

صاح بهم « أبو محمد البطال» قائلا :

– انظروا .. الماء ..

كان الماء قد بدأ يتسرب إليهم من فتحات صغيرة في الجدران وكأنها صنابير .. لاحظ الجميع أن الماء المندفع بدأ يزداد قوة .. حتى أنه بدأ يدفع الرجال ويلقى بهم بعيداً بقوة وعنف وصل الماء في دقائق حتى ركبهم . أشارت عليهم «ذات الهمة »

– لنذهب إلي أعلى الدرج قبل أن يغرقنا الماء

أسرع الجميع إلى أعلى الدرج الكبير .. حتى كادت رءوسهم تلامس المدخل الذى أغلق عليهم بالقضبان الحديدية الضخمة.. وحاولوا مرة أخرى بكل ما فيهم من قوة تحريك هذه القضبان .. كان كل منهم يعمل بسرعة وبكل ما لديه من جهد مع الوقت.. كانت حركاتهم تزداد هيستيرية لعلمهم أن الماء في ازدياد مطرد أسفلهم ..

ما لبث الماء أن وصل إليهم وهم في محاولاتهم الفاشلة لتحريك القضبان .. تركت «ذات الهمة» هذا العمل وجلست إلى أعلى الدرج وقد أسقط في يدها :

– الآن .. ما العمل ؟ .. هل سنموت غرقا كما قال الراهب .. لا يمكن أن يحدث ذلك .. أين عقلك يا« أبا محمد»؟ أعمل ذهنك .. أين ذكاؤك ؟

هيا .. فكر .. كيف الخروج من هذه المصيبة المحكمة ؟ ثم فجأة نهض «أبو محمد» قائلا :

– اسمعوا .. توقفوا .. عندى رأى .. إن الشخص الخارق الذكاء الذى صنع كل هذا .. لابد وأن يكون قد عمل حسابا لتصريف كل هذا الماء .. بعد غرقنا .. نعم لابد أن يكون قد أوجد حلا .. فإن من هو بمثل تلك العبقرية .. لصنع كل هذا .. لا يمكن إلا وأن يكون أوجد لهذا حلاً..

أجابته «ذات الهمة» مؤمنة على أفكاره

– أحسنت ايها العبقرى لابد أن يكون هناك مصرفا لكل هذا الماء .

بسرعة خلع «عبد الوهاب» ملابسه وخوذته قائلا :

– ساغوص إلى أسفل .. بحثاً عن مكان تصريف المياه هذا

غاص «عبد الوهاب» إلى أعماق المكان .. كانت المياه ترتفع وقد غطت نصف أجسادهم .. لم يعد لهم مكان يهربون إليه غاب «عبد الوهاب» مدة طويلة .. أرادت «ذات الهمة» الغوص ورائه بحثا عنه فقد توجست أن يكون قد غرق .. ولكن الرجل ظهراً خير وهو لا يكاد يستطيع التنفس .. وظل يسعل بشدة بعد أن كاد يغرق .. أخيراً قال :

– إن تيار الماء في الأسفل قوى جدا.. لقد دفعنى بشدة وألصقنى

بالحديد بقوة .. فقاومته بكل ما لدى من قوة حتى استطعت أن أصل إلى هنا بعد أن أيقنت بغرقى فعلا.

تساءلت «ذات الهمة» بصوت محبط :

– إذا ما العمل ؟ لا يمكن أن نموت هكذا غرقى بدون مقاومة

خلع« أبو محمد البطال» ملابسه .. ثم طلب من الجميع عباءاتهم وربطها جميعاً صانعاً منها حبلا طويلا لف طرفه حول وسطه وربط الطرف الآخر بأحد القضبان الحديدية قائلاً :

– إذا غبت عليكم إسحبونى من هذا الحبل حتى لا أموت غرقاً

ثم غاص «أبو محمد البطال » .. لحظات وكان الماء قد وصل إلى أكتافهم وقد أصعد كل منهم رأسه بقضبان الحديد.. ثم ما لبثت المياه أن وصلت إلى ذقونهم .. ثم غطت أفواههم .. لصق كل منهم وجهه بالفتحات الصغيرة بين قضبان الحديد .. قرأ كل منهم الشهادتين .. وأغمض عينيه واستسلم لقضاء الله فقد غطت المياه القضبان أيضاً .. ثم ما لبثت أن نزلت عن القضبان وظهرت وجوههم .. تنفس القوم أخيراً .. وسعل أكثرهم مما دخل فى رئتيه من ماء .. انحضر الماء قليلاً قليلاً حتى ظهرت رءوسهم .. صرخ عبد الوهاب

ـ «أبو محمد البطال ».. إنه لم يخرج أين هو .. سأغوص للبحث

عنه..

قالت« ذات الهمة» من خلال سعالتها

- انتظر يا ولدى .. لنسحب الحبل لنخرجه .

ما كانوا يمسكون الحبل حتى ظهر «البطال» من الماء وهو يقاوم الغرق ..

كان «أبو محمد البطال» قد غاص إلى القاع .. لم يكن يكاد يرى شيئاً خلال الماء العكر من الأتربة وبقايا الهياكل العظمية العائمة من حوله .. تحسس الأرضية .. ظن أنه لن يستطيع أن يبحث فى كل هذه المساحة دون أن يغرق .. ولكن ما كاد يتحسس مترا أو مترين من الأرضية حتى وجدها حلقة معدنية كبيرة .. إذاً لابد أن تكون هذه مصفاة المياه .. قام «أبو محمد البطال» بسحب الحلقة المعدنية بكل ما فيه من قوة .. ولكنه لم يستطع .. كاد يموت غرقاً .. أسرع بالسباحة إلى أعلى .. حتى يمكن التنفس قليلا .. كانت المياه قد وصلت إلى ما قبل السقف بحوالى شبر واحد .. بحث عن جماعته.. وجدهم وقد تعلق كل منهم بالقضبان الحديدية .. تنفس بعمق ثم غاص مرة أخرى إلى مكان الحلقة الحديدية حاول جاهدا سحبها تمنى أن يكون «أبو الهزاهز » أو« عبد الوهاب » هنا .. لقاما بسحبها بقوتهما الخارقة .. أخيراً تزحزح الحجر المثبت به الحلقة قليلاً

وبدأت المياه تتسرب منه شيئاً فشيئاً .. كاد يغرق مرة أخرى .. قام بفك الحبل من حول وسطه .. وأحكم رباطه بالحلقة الحديدية ثم تسلقه صاعدا إلى أن أصبح وسط الرجال .. قال «أبو محمد البطال»
- هيا .. لنسحب جميعاً الحبل عسى أن يتحرك الحجر الذى يغطى البئر فى الأسفل تعاون الجميع لسحب الحبل .. وإذا بالماء ينسحب بقوة إلى أسفل بهدير قوى .. دقائق وانحسر عنهم الماء فألقى كل منهم بجسده على الدرج محاولاً التقاط أنفاسه ..

نزل الجميع إلى القاع بعد إنحسار الماء .. لم تخسر الجماعة إلا جنديين ماتا غرقاً بعد أن أفلتت أيديهما من القضبان فى غفلة من الجميع .. تم حفر قبرين لهما فى نفس المكان ..

قالت «ذات الهمة»:

- طالما وجد هنا ما يفتح بئر تصريف المياه .. فلابد أن يكون هنا أيضا ما يرفع حديد المخرج .. بحث الجميع فى كل مكان وذلك بعد أن جففوا المشاعل من الماء .. وإشعالها حتى تمكن لهم الرؤية بحثوا فى كل مكان .. لم يتركوا شبراً واحداً داخل المكان .. لم يبحثوا فيه .. لا شئ في الحوائط .. لاشئ في الأرض .. لا شئ على الدرج لا شئ في حديد المدخل .. لا شئ في حديد المخرج .. تساءلت «ذات الهمة»:

- لماذا لا يكون السر في المكان الذى هرب منه الراهب ؟

كان المكان الذى خرج منه «شو مدرس» شاهق الارتفاع .. بحثوا بنظرهم .. فى كل أنملة صغيرة حول الأحجار التى تحركت فخرج الرجل منها .. لا شئ يلفت النظر .. لا شئ البتة .

كان نظر «أبى محمد البطال» أشدهم قوة صاح قائلاً :

ـ هناك فوق الأحجار التى خرج منها الفاسق .. إنها قطعة معدنية فى حجم العين .. تبرز من الحجر .. إنى أراها .. ألا ترونها قال «أبو الهزاهز» وهو يدقق النظر إلى أعلى :

ـ أين ؟ .. إنى لا أرى شئ .

قال الرجل ..

ـ هناك هل ترون الشق بين الحجرين الذين تحركا ؟

قالت «ذات الهمة » :

ـ نعم نراه .. كلنا نراه .

قال «أبو محمد البطال »

ـ حسنا فوقه تماما القطعة المعدنية .

صاحت «ذات الهمة »بعد أن رفع الجميع المشاعل إلى أعلى ليتمكنوا من الرؤية

ـ نعم نعم .. إنى قد رأيتها الآن .. أنا أراها

وهكذا صاح الجميع :

ـ وأنا أيضا .. وأنا أيضا أراها .. لقد وضحت الآن ولكن كيف الوصول إليها ؟

قالت «ذات الهمة» وهي فرحة:

ـ بالقوس والسهم .. إن القطعة المعدنية بارزة .. معنى ذلك أنه يجب علينا دفعها إلى الداخل

أعد كل منهما قوسه وسهمه .. لم يصبها الأمير «عبد الوهاب» . لم يصبها الجنود .. لم يصبها «أبو الهزاهز » .. كاد« أبو محمد البطال» أن يصبها .. وكان على «ذات الهمة » إصابتها .. وإلا فلا فائدة شدت «ذات الهمة» القوس عن آخره .. ثم أخذت شهيقاً قوياً وأخرجته .. واستجمعت سهمها .. إنها المحاولة الأخيرة .. ارتطم السهم بالقطعة المعدنية فإذا بصوت صرير قوى .. وإذا بالقضبان الحديدية تتحرك إلى أعلا محدثة صريراً .. ودوياً هائلين

ما أن ارتفع الحديد مترا واحدا .. حتى قفزت «ذات الهمة »إلى الجهة الأخرى صائحة

ـ هيا بسرعة أعبروا قبل أن ينغلق مرة أخرى هيا

وفعلاً ما أن عبر الرجال وإلا بالحديد الضخم يهوى ثانية إلى مكانه محدثاً دوياً هائلاً ومثيراً غباراً شديداً .. رقص الرجال فرحاً .. وتعانق الجميع .. وكأنهم لا يصدقون نجاتهم أبداً

قال «أبو الهزاهز» بعد أن هدأ قليلاً :

- والآن .. ماذا نفعل ؟

أجابه «أبو محمد البطال »:

- لا يجب أن ننسى أن هذه البلاد تسمى بلاد التيه .. ويمكن أن تكون هذه المغارات كذلك لقد نفدنا من الجهة الأخرى غير التى دخلنا منها

قالت «ذات الهمة »:

- هذا صحيح .. إذاً يجب أن نكون على حذر فى كل خطوة نخطوها .. فربما تفاجئنا هذه البلاد بمفاجآت أخرى .. الله أعلم .

كانت أمامهم خمسة أنفاق محفورة داخل المغارة .. قال« أبو الهزاهز» :

- لنتجه إلى النفق الأمامى المواجه لنا مباشرة

قال «عبد الوهاب »:

- كلا لنتيمن .. سنتجه إلى النفق الأيمن

قال «أبو محمد البطال »

ـ لن نذهب يمينا أو يساراً .. أو أماما أو حتى خلفاً

تعجب «عبد الوهاب» متسائلاً :

ـ إذاً إلى أين نذهب ؟ نخرق الأرض ؟

أجاب« أبو محمد البطال »:

ـ كلا .. لن نخرق الأرض أيضاً .. أعطونى هذا المشعل .. وانتظرونى هنا

أخذ« أبو محمد البطال» مشعلاً .. وظل يفحص الممرات الخمس .. العجيب أنه كان يفحص أسقف الأنفاق فقط تمتم« أبو الهزاهز» قائلا:

ـ ماذا يفعل ؟ هل يبحث عن أثار أقدام على السقف .. أنا لا أفهم شيئاً .

وقف « أبو محمد» أمام الممر الثانى من اليسار وقال

ـ هيا .. اتبعونى .. هذا هو الطريق .

دخل الجميع النفق خلف «أبى محمد البطال» .. واقتربت «ذات الهمة » من« أبى محمد البطال» متسائلة:

ـ عن ما كنت تبحث في أسقف الأنفاق ؟ وكيف عرفت أن هذا هو

الطريق ؟

قال «أبو محمد البطال» مجيباً

ـ أنت تعلمين يا سيدتى أن المياه جعلت أرضية المكان موحلة وانمحت أى آثار للأقدام.

تساءلت مرة أخرى

ـ ولكن عما كنت تبحث فى الأسقف؟

أجابها مبتسماً :

ـ انظرى يا سيدتى إلى سقف الممر .. ستجدين رماداً أسود عالقاً فى السقف ..إنه الممر الوحيد الذى به هذه الآثار .. والممرات الأخرى نظيفة ليس بها هذا الأثر

ضحكت« ذات الهمة» قائلة :

ـ أيها الخبيث لقد فهمت .. هذه أثار مشاعل مرت من هنا من قبل .. فاستنتجت أنت أن هذا هو الممر الوحيد المستخدم والأخرين للتمويه أزادك الله ذكاءً يا « أبا محمد» . أرجو أن يكون استنتاجك صحيحا .. وقولك سديداً وإلاوقعنا فى تيه آخر .. وأنا لا أخفيك سراً ..

قال« أبو محمد البطال» وهو يميل رأسه ناحيتها ليسمع صوتها الذى صار همساً.

ـ ما هو يا سيدتى .. عله خير

إجابت «ذات الهمة »:

ـ كلا .. ليس خيراً بالمرة .. لتعلم أن ما معنا من طعام قد فسد معظمه بسبب المياه ..

ـ قال« أبو محمد البطال» واجماً :

ـ إذاً علينا الخروج من هنا والعودة إلى القلعة بأسرع ما يمكن وإلا متنا جوعاً لا قدر الله

اقترب «عبد الوهاب» منهما متسائلاً:

ـ فيما تتهامسان أيها السادة؟

صمت الاثنان في وجوم شديد .. فقال «عبدالوهاب »:

ـ إذاً .. فالأمر جليل .. هل تسمحان أن أعرف ما هو

أجابت «ذات الهمة» :

ـ لقد فسد معظم ما عندنا من طعام .

فقال «عبد الوهاب» بسرعة :

ـ إذاً علينا الخروج من هذا المكان بسرعة أليس كذلك ؟

صاح «أبو محمد البطال» وهو يسرع الخطى :

- هيا يا رجال أسرعوا خلفى

كان النفق يسير متلويا تماماً كالثعبان .. طارة يسير يساراً وتارة يميناً وتارة دائرى .. وتارة صاعداً وتارة هابطاً يضيق في بعض الأماكن حتى أن الرجال كانو يزحفون فيه واحداً تلو الآخر وتارة يتسع وكأنه مغارة كبيرة صاح «أبو الهزاهز» :

- أليس لهذا النفق نهاية ؟ .. إنى قد اختنقت هنا صار الجو فعلاً خانقاً .

أجابه « أبو محمد البطال »

- اصمت يا« أبا الهزاهز» .. إنك رجل ولست طفلاً .. لقد أصبح النفق الأن يتجه صاعداً ولكن بشكل ملتوى غريب.

كادت المشاعل تخبو في أيديهم . .بل إن بعضها قد خبا ولم يعد له ضوء .. إلى أن انطفأ تماماً .. صارت الرؤية شبه منعدمة بعد أن انطفات كل المشاعل .. إلا واحدا فقط .. قد بدأ يخبو.. أصبح الظلام دامساً.. وتعذرت الرؤية .. تقدم الرجال عن طريق تحسس الجدران

قال «عبد الوهاب» متسائلا :

- هل نعود؟

صاح «أبو الهزاهز»:

ـ نعم نعود .. نعود .. إنى أكاد أختنق

نهرته «ذات الهمة» قائلة :

ـ تجلد يا« أبا الهزاهز ».. أنت رجل لا يجب أن تنهار هكذا فأنت أقوى من فينا .. أنت الذى يجب أن تبث فينا الشجاعة .. أليس كذلك أيها الصنديد ؟

صمت «أبو الهزاهز» وتماسك واستمر في السير .

أمامهم وعن بعد ظهر ضوء خافت .. فرح الجميع وتصايحوا قائلين

ـ لقد نجونا .. نعم والله لقد نجونا .. إنه المخرج إتجه الجميع إلي مصدر الضوء مسرعين .. أدى هذا النفق في نهايته إلى قاعة مربعة الشكل ذات أعمدة لها تيجان .. وقد رصعت بلاطات الأرضية بأحجار ملونة ذات رسومات بديعة .. كما كان السقف مرسوماً أيضا برسومات ذهبية جميلة

ما أن وطات أقدامهم هذه القاعة حتى انفتح أمامهم باباً خشبياً شديد الزخرفة والرسومات من النحاس والذهب المطعم بالجواهر .. وإذا بالباب جند ى.. ضخم الجثة .. وقف الجميع .. فإذا بهذا الجندى الضخم ليس إلا تمثالاً من حديد له وجه غريب وله ستة أذرع ثلاثة

أذرع يمنى وثلاثة أذرع يسرى .. وبكل ذراع سيف ضخم

لم يستوعب «أبو الهزاهز» أن هذا الجندى ليس بشراً فأطلق رمحه الضخم إليه محاولاً قتله.. ما أن إنطلق الرمح .. تحركت تلك الأزرع بسرعة فائقة .. حتى أنه لم يمكن رؤيتها متحركة في كل الاتجاهات فقامت في ثوان قليلة بتفتيت الرمح إلى قطع صغيرة جداً.. أكبرها بحجم أصبع الإنسان وفجأة سكنت في مكانها

قالت «ذات الهمة» :

ـ إنه الحارس الآلى للمكان .. لنلقى إليه بدرع حديدى ونرى ماذا يحدث

خلع أحد الجنود درعه المعدنى وقام بإلقائه جهة هذا الحارس الآلى الذى ما لبث أن حرك أذرعته السته بسرعتها الفائقة في جميع الإتجاهات محطماً الدرع المعدنى إلى أجزاء صغيرة أيضا.. بل متناهية الصغر .. تكاد تكون برادة .

بحث الرجال في أركان القاعة .. لا يوجد أي مخرج من هنا إلا عبر هذا التمثال المعدني الغريب .. أسقط في يد الرجال بل إن بعضهم أراد العودة من حيث أتوا والبحث عن طريق آخر للخروج جلست «ذات الهمة» على قاعدة أحد الأعمدة الحجرية الضخمة وأمعنت فكرها .. ما العمل الآن .. كان «أبو محمد البطال» يزرع القاعة جيئة

وذهاباً.. متفحصاً كل أنملة فيها عساه يجد المخرج ..

نهضت «ذات الهمة» قائلة

ـ أعطونى درعا آخر .

ألقت بالدرع إلى الجندى المعدنى ذى الستة أذرع .. فعل بالدرع ما فعله لسابقة .. صمتت «ذات الهمة» لحظات ثم طلبت درعا آخر ألقته إليه .. ثم رفعت حجراً ألقته إليه .. ثم خلعت سترتها ذات الزرود المعدنية .. ألقتها ثم ضحكت بقوة وقالت :

ـ الآن قد وجدتها .. نعم عرفت الحل .. ما أبسطه إن هذه السيوف تتحرك فعلاً في جميع الاتجاهات .. ولكن ألم تلاحظ فيها شيئا يا« أبا محمد» ؟

أجاب «أبو محمد البطال »

ـ ماذا تقصدين يا سيدتي؟

قالت« ذات الهمة» مجيبة بحماس وتركيز

ـ ألم تلاحظ أن كل هذه السيوف لم تلمس الأرض في حركتها بل إنها تعلو الأرض حوالى شبرين..

صفع «أبو محمد البطال» جبهته وصاح :

ـ نعم .. نعم هذا هو الحل .. كيف لم أفهم ذلك .. إن كل اهتمامي

كان منصباً على إيجاد مفتاح أو ذراع يغلق هذا الشيطان .. ولكن لم يذهب ذهنى إلى أسفل قدميه.

قال «عبد الوهاب »

ـ ماذا تقصد بأسفل قدميه؟

أجاب «أبو محمد» .

ـ سأريك الآن ماذا أقصد وإلى ماذا توصلت أميرتنا الذكية.

خلع «أبو محمد البطال» خوذته وألقى بها بقوة ناحية الجهة الأخرى عبر الباب ولكن أسفل السيوف علي مستوى الأرض تحركت السيوف بسرعتها الفائقة ولكنها لم تمس الخوذة التى عبرت إلى الجهة الأخرى هكذا ببساطة .. قال عبد الوهاب فرحاً :

ـ إذا لنعبر زحفا تحت أقدامه .. هيا

أستوقفته« ذات الهمة» قائلة :

ـ توقف .. انتظر .. ماذا عن «أبى الهزاهز »؟

قال «عبد الوهاب» متسائلا :

ـ ماذا عنه ؟

أجابه «أبو محمد البطال» ضاحكاً :

- ألا ترى حجمه الضخم.. إنه مهما زحف فإنه لن يستطيع العبور.. ما رأيكم أن نتركه هنا .

تساءل« أبو الهزاهز » غاضبا

- ماذا تقول ؟.. تتركونى هنا ؟

قالت« ذات الهمة » مهدأة له :

- إنه يداعبك يا رجل .. لا يمكن لنا ترك أحد رجالنا خلفنا مهما يكن .. لا تخف يا رجل .. اسمعوا يارجال هناك رأى آخر .. لنخلع أحجار الأرض والحوائط .. ونلقيها عليه .. هيا يا رجال لنعمل

تساءل «أبو الهزاهز»:

- هل نضيع وقتنا في خلع الأحجار ؟.. ما هذا القول ؟

أجابه «أبو محمد البطال» وهو يربت على كتفه مهدئاً :

- إن رأى أميرتنا هو الصواب .. إذا ما ألقينا إليه كل هذه الأحجار .. تفتتت تحت قدميه وإرتفعت أكوام الركام حتى تصل إلى أذرعته الست فتحبسها عن الحركة تهلل وجه «أبو الهزاهز» وانطلق يخلع قاعدة عامود ضخم .. فضرب العامود بقبضته .. فإنهار بالكامل رفع «أبو الهزاهز » قاعدة العامود الضخمة وألقى بها إلى الحارس الحديدى.. فتفتت كوماً هائلا تحت قدميه بفعل السيوف السريعة

الحركة .. أقبل الجميع على خلع الأحجار من كل مكان .. الحوائط .. الأعمدة.. الأرضية وألقوا بها إلى الحارس الحديدى وهو يتحرك بسرعة فائقة فيحطمها في ثوانٍ بسيوفه الستة .. لم تمض ساعة حتى.. ارتفع كوم الركام حتى وصل إلى وسط الحارس الحديدى وأرتفع الغبار في كل مكان .. وانتشر السعال بين القوم ولكنهم .. لم يهنوا في إلقاء الأحجار إليه .. ساعة أخرى وغطى الركام المتناثر كتفيه

ورغما عن ذلك .. ظلت الأذرع السته تتحرك وسط الركام مثيرة الكثير من الغبار والأتربة .. ثم ما لبثت أن هدأت حركتها قليلاً .. ما لبثت أن سكنت حركة الأذرع تماماً .. بعد أن حاولت التحرك عدة مرات لكن الركام منعها من الحركة .. صعد الرجال تتقدمهم «ذات الهمة» .. ما لبثت الأميرة أن سمعت زمجرة شديدة .. وأحست أن الركام يتحرك أسفل قدميها .. أسرعت الأميرة هابطة وهي تصيح :

ـ هبطوا .. اهبطوا بسرعة .. ليعد كل منكم مكانه الحارس الحديدى غير مستقر

سألها «عبد الوهاب »

ـ ماذا حدث لماذا عدنا ؟

أجابت الأميرة :

ـ يبدو أن الحارس الحديدى على وشك أن يتحرك .. ما أن أنهت الأميرة جملتها .. حتى سمع صفيرا قويا وهديرا شديدا .. وما لبث الحارس الحديدى أن تفض الركام .. وتحركت أذرعته وسيوفه بعنف شديد .. لم تمض دقائق حتى كانت السيوف أن قذفت بالركام جميعه بعيدا عن التمثال .. وكأنه لم يكن حوله ركاما من قبل

جلس «عبد الوهاب» أرضاً متمتما

ـ الآن ما العمل ؟

خلعت «ذات الهمة» خوذتها وملابسها الحربية قائلة

ـ سأزحف أنا تحت التمثال وأحفر تحت قدميه عسى أن أجد له حلاً .

نهض «أبو محمد البطال» وخلع خوذته وملابسه الحربية حتى أصبح عارى تماماً إلا من سراويله قائلا

ـ كلا أيتها الأميرة .. أنا من سيذهب .. فأنا لدى فكرة عن الأعمال الشيطانية هذه

تقدم« أبو محمد البطال» زاحفا تحت هذه السيوف الحادة كاد أحدها يلمس رأسه صاحت به «ذات الهمة»

- «أبا محمد» .. اخفض رأسك .. كان السيف يصيبك .

ما أن تقدم الرجل قليلاً .. حتى لمس كتفه طرف احد السيوف لمسة خفيفة .. صرخ الجميع خوفا عليه وغمض «أبو الهزاهز» عيناه رعباً .. حينما رأى الدم ينبثق من كتف« أبو محمد» الذى انبطح على الأرض في سكون تام .. قليلاً حتى بدأ الرجل يعاود زحفه حتى وصل إلى قدمى الفارس الحديدي الذى كان يقف على قاعدة معدنية .. أخرج «أبو محمد» خنجره الصغير من حزام سرواله .. وعكف على حفر الأرض تحت القاعدة .. ظهرت بعض التروس المعدنية المتشابكه لاحظ الرجل أنبوباً مليئاً بالذئبق .. صاعداً في أحد قدمى الفارس الحديدى .. أكمل الحفر .. فرأى أنبوباً آخر يتدفق فيه الزئبق هابطا إلى منطقة ما أسفل التروس .. وضع «أبو محمد» خنجره القوي بين أسنان هذه التروس .. توقفت التروس قليلاً ثم ما لبثت أن تحركت فجأة وبقوة شديدة .. وما لبث الخنجر أن انكسر وتحطم وعادت التروس للحركة .. تساءل« أبو محمد» مفكرا

- ترى إلى أين يذهب هذا الزئبق داخل جسد هذا العملاق الحديدى؟

تسلق «أبو محمد» أقدام هذا الحارس محتضناً له وملسقا جسده بقوة .. صاح به «عبد الوهاب »

ـ احذر« أبا محمد» .. انتبه لنفسك لم يجبه« أبو محمد البطال» بشئ .. بل انهمك في تسلق الحارس محتضناً له .. ملسقاً جسده به بقوة حتى تقابل وجهيهما فقال« أبو محمد البطال»

ـ مرحبا أيها الغبى الحديدى .. هل تظن أنك أذكى مني ؟ هه .. انطق .. لا أعتقد أنك بك أي ذكاء .. أيها المعدن الصدئ

لاحظ « أبو محمد» أن عينى الحارس الحديدى عبارة عن عدستين بلوريتان .. وضع «أبو محمد البطال» يده على إحدى عينيه فأخفاها.. هنا بدأت السيوف في نفس الجهة تتوقف عن الحركة تماما.. صاح «أبو محمد» قائلا :

ـ وجدتها .. وجدت الحل أيها الرجال ليناولنى أحدكم عمامته من هذه الجهة الساكنة .. هيا بسرعة ناوله «أبو الهزاهز» عمامته .. كاد «أبو محمد» أن ينزلق عن الحارس.. فتحركت السيوف بسرعة فمزقت العمامة في ثوان وكادت أن تمزق ذراع «أبو الهزاهز » .. تسلق «أبو محمد البطال » الحارس الحديدى مرة أخرى ووضع يده بإحكام علي عينه .. ناوله أحد الجنود عمامته في حين عكف «أبو الهزاهز » على فحص ذراعه .. خوفا أن تكون السيوف قد أصابتها .. لف «أبو محمد البطال» العمامة حول رأس الحارس الحديدى . . بأحكام شديد.

توقف السيوف جميعا.. جل «أبو محمد البطال» علي أحد أذرع الحارس الحديدى الضخمة حيث توقفت حركته تماماً قائلا له بتهكم شديد .. وكأنه يتحدث إلى آدمى مثله

ـ قل لى الآن أيها الغبى .. من منا أذكى هل تعلم أيها الغبى .. أنك لست إلا قطع من الحديد الصدئ

قالت «ذات الهمة» منبهة «أبو محمد البطال »

ـ هيا يا «أبا محمد» يجب أن نسرع ونخرج من هذا المكان قال« أبو محمد» للحارس الساكن تماما عن الحركة :

ـ اسمح لي أيها الغبى فإن وقتى ضيق .. لا وقت لدى لك

نزل «أبو محمد البطال» عن الحارس .. وتبع الرجال عابراً بسرعة إلى الجهة الأخرى .. حيث كان ممراً ذو اعمدة حجرية مستقيماً متجها إلى باب أخر يشبه سابقه .. باب خشبي ضخم مزخرف برسومات جميلة من النحاس والذهب والأحجار الكريمة .. ما أن دفعه «أبو الهزاهز» حتى انفتح الباب بصرير قوى .. في لحظة واحدة .. اللحظة التي حاول فيها الدخول صاحت «ذات الهمة » صارخة

ـ انتظر يا «أبا الهزاهز» توقف

ما أن أطل «أبو الهزاهز» برأسه إلى الجهة الأخري حتي قطعت

خـوذتـه بضـوء صـاعـقـة انطـلـق مـن الـداخـل فـي لحظـة .. تراجـــع «أبو الـهزاهز » إلي الوراء .. مرتعباً حتى أنه سقط على ظهره .. من هول المفاجأة .. تجمع الرجال حوله .. حيث فقد الوعى تماما من الرعب .. خلعت ذات الهمة نصف خوذته الحديدية البـاقي علي رأسه .. تفحصـتـه مع الرجال .. لقدكـان القطع حاداً .. نظيفا وكـأن سكينا قد قطع قطعة من الجبن الطرى .. تساءل «عبد الوهاب »:

ـ مـا هذا ؟ مـاذا يمكن أن يكون أصـاب الخـوذة الـحديدية وقطعـهـا هكذا

أجاب «أبـو محـمد البطال ».. وهو يمرر إصـبعـه علي حافـة القطع في الخوذة :

ـ لست أدرى .. إنه شئ أقوي من الحديد

قالت «ذات الهمة »

ـ كلا .. لقد رأيت ضوءاً رفيعاً جداً يشبه الصاعقة أصاب الخوذة .. فقطع نصفها العلوى في لحظة واحدة كالبرق .. ثم اختفى كما ظهر.

قال «أبو الهزاهز ».. بعد أن أفاق متسائلاً :

ـ أين أنا ؟ .. مـاذا حدث ؟ .. هل مـازلت حـيـا؟ ألم أمت بعد؟ .. مـاذا حدث لى ؟ أين أنا ؟

طمأنته «ذات الهمة» قائلة :

- لا تخف أنت بخير .. لقد أنقذتك قدرة الله من موت محقق .. الحمد لله على سلامتك

أخذت ذات الهمة سيفا كان يخص أحد الجنود الموتى وأدخلته من الباب .. وإذا بضوء أبيض يشبه البرق يهوى علي السيف فيقطعه نصفين .. إذاً .. فهناك ضوء صاعقة قاتل في انتظارهم الجهة الأخرى ما العمل سمع الجميع صوت احتكاك خلفهم .. نظر الرجال جهة الصوت كان «أبو محمد البطال» « منعكفا على درع معدني يجلوه ويلمعه بحماس شديدين قالت «ذات الهمة» مبتسمة :

- أحسنت يا« أبا محمد» .. هذا مهم جدا .. هيا يا رجل يجب أن يصبح مصقولاً كالمرآة .

حينما انتهى « أبو محمد البطال »عمله سلم « لذات الهمة »كان لامعاً كالمرآة .. رأت«ذات الهمة» وجهها فيه واضحاً .. تقدمت «ذات الهمة» بحذر ناحية الباب وعلى بعد خطوتين من الباب ودون أن تدخله وجهت الدرع إلى الداخل .. حركت الدرع يمنه ويسره .. بحثاً عما داخل المكان .. أخيراً راتها .. امرأة ترتدى قميصاً وسروالاً من الجلد الأسود الدمع .. كانا ضيقين جدا .. يكادان يلتصقان بجسدها

الفاره .. وترتدى أيضا حذاءاً طويلا أسود يكاد يصل إلي ركبها وتلف رأسها برباط من الجلد الأسود الذى يتدلى على جانب وجهها كانت المرأة تمسك في يدها شيئا ما يشبه السيف ذو مقبض معدنى .. ولكن نصله كان عبارة عن شعاع ضوء أبيض يشبه البرق تماما وهي تنظر إلى المدخل في حالة و تأهب . في انتظار أن يدخل أي شخص من الباب . .

خففت «ذات الهمة» من ملابسها الحربية ودروعها .. وأخذت الدرع الذى يشبه المرآة وقفزت مسرعة إلى الداخل .. حيث هاجمتها المرأة بسرعة بسيفها الصاعقة .. تدحرجت« ذات الهمة» بسرعة فائقة متفادية ضربات المرأة السريعة حتي اختفت خلف أحد الأعمدة.. مدت «ذات الهمة »يدها بالدرع .. ورأت من خلاله مكان المرأة التي كانت تبحث عنها التفتت «ذات الهمة» إلي الجهة الأخرى من العامود الحجرى .. ضربت المرأة العامود بسيفها فقسمته .. انهار العامود على «ذات الهمة» التى قفزت بسرعة فائقة متدحرجة أيضاً إلى خلف العامود الثانى .. وبالتالى حطمت المرأة العامود الثانى .. وانكشفت «ذات الهمة» للمرأة وجها لوجه .. حاولت المرأة إصابة «ذات الهمة» بسيفها .. كلما حاولت ضرب« ذات الهمة» كانت تتفادى ضرباتها بالقفز السريع هنا وهناك .. صاحت المرأة بقوة من الغيظ

الشديد وزادت من سرعة ضرباتها التي كانت تطيش في الهواء دون أن تصيب «ذات الهمة» التي كانت تعلم تماما أن هذا السيف إن مسها فسيقسمها بلا شك .. بسرعته الفائقة علي حين فجأة .. قفزت «ذات الهمة» إلى أعلى عدة أمتار .. وهي تصيح صيحاتها المعروفة .. وتنعكس في الهواء عدة مرات فوق رأس المرأة التى فوجئت بهذه الحركة السريعة .. وفي لحظة هبوط« ذات الهمة» رشقت خنجرها في رسغ المرأة التي صرخت متأوهة وأسقطت سيفها .. واختفت فجأة .. حيث لا تعلم «ذات الهمة» أين ذهبت .. تقدمت «ذات الهمة» إلى السيف .. لالتقاطه .. فلم تجد إلا مقبضاً حديدياً بدون نصل .. تعجبت «ذات الهمة» .. من أين جاء برق الصاعقة ليصنع لهذا المقبض نصلا رهيباً هكذا لاحظت «ذات الهمة» .. وجود نتوء علي هذا المقبض حركته إلى أعلى . فإذا بالمقبض يخرج نصله من برق الصاعقة ذى اللون الأبيض .. أعادت الزر إلى الوراء فاختفى النصل .. دفعته بإصبعها إلى الأمام ظهر نصل الصاعقة البراق مرة أخرى.

في هذه اللحظة ظهرت المرأة .. وفي يدها سيفاً آخر يشبه السيف الذى في يد «ذات الهمة» .. ولكن نصله هذه المرة كان أحمر اللون .. تبارزت المرأتان بسيفيهما الناريين اللذين كانا يصدران شرارات عظيمة كلما تصادما .. كانت المرأة تعرف المبارزة بالسيوف جيداً ..

بل إنها كانت من البراعة بحيث أدهشت «ذات الهمة» ببراعتها الفائقة .. حتى أنها استطاعت أن تطيح بخصلة من شعر «ذات الهمة» .. مما أدى إلى أن تأخذ «ذات الهمة» حذرها أكثر من هذه المرأة المبارزة وإلا قتلتها أرادت المرأة إصابة ذات الهمة .. التى قفزت عاليا وانقلبت في الهواء مرة واحدة .. وبضربة سريعة على معصم المرأة .. ففصلت يدها تماما عن ذراعها صرخت المرأة متألمة بعد أن بترت يدها وسقطت إلى الأرض بالسيف الذى انطفأت صاعقته تماماً تألمت الفتاة وسقطت إلى الأرض وهي تمسك يدها وهي تتأوه وتبكى .. أطفأت «ذات الهمة » سيفها واتجهت إلي الفتاة محاولة فحص جرحها .. فوجئت « ذات الهمة » بعدم وجود نقطة دم واحدة .. بل إن نصل السيف البرقي قد تسبب في التآم الجرح من وقته.. حينما اقتربت «ذات الهمة» من المرأة همست بها قائلة :

- هيا .. اقتليني .. بسرعة أنهى مهمتك واقتلينى ..

قالت «ذات الهمة» مبتسمة :

- كلا .. لن أقتلك .. فأنا لست بقاتلة .

قالت المرأة برعب وهي تتلفت هنا وهناك :

- ألا تفهمين .. هل أنت غبية .. لابد أن تقتليني وإلا .. وإلا جاء

وقتلنا أنا وأنت .. هيا أسرعى .

قالت «ذات الهمة »متساءلة :

ـ لماذا أنت مرتعبة هكذا ؟ .. ماذا بك ؟ .. لا تخافى أنا لن أقتلك

قالت المرأة صارخة :

ـ أيتها الغبية .. ستموتين حتما معى .. إنه لن يتركك إن لم تتمي مهمتك وتقضى عليا .. سيتم هو المهمة ثم سيقوم بقتلك بهذه البساطة .. لقد فشلت أنا في مهمتى ولن يغفر لي ذلك

تساءلت «ذات الهمة »:

ـ وما هي هذه المهمة ؟

أجابت المرأة

ـ كانت مهمتى حراسة قصره من الدخلاء .. والدفاع عنه بحياتى .. والآن بعد أن فشلت فانا أعرف عقابى .. إنه الموت على يديه حيث سيمزق جسدي بمخالبه قطعا قطعاً

قالت «ذات الهمة» مهدئة لها :

ـ لا تخافي .. اهدئي .. ستأتين معنا .

قالت المرأة بحنق شديد :

- هل تظنين أنك ستغادرين هذا المكان .. ها .. إن أحداً لم يدخل هنا ويخرج حياً . . لن يدعكم .. لن يدعكم هل تفهمين

تساءلت« ذات الهمة » وقد كاد صبرها أن ينفذ :

- هو .. هو .. من هو .. من يكون هذا الذى يرعبك قالت المرأة هامسة :

- بل قولي .. ما هو .. إنه .. إنه ليس بشراً مثلنا .. صمتت المرأة قليلاً وهي تتلفت ثم أردفت

- أنه وحش .. وحش كريه .. رهيب .. عنيف

ذهبت «ذات الهمة» إلي الباب وأشارت إلى رجالها بالدخول ثم جثت علي ركبتها مرة أخرى بجوار المرأة .. قائلة في تساؤل :

- هل تقصدين أنه ذئب ؟ أو أسد ؟ أو دب ؟ ماذا تقصدين أنه وحش؟ أي وحش ؟

قالت المرأة بحنق :

- ليس هذا أو ذاك .. إنه لا يشبه أي حيوان مما ذكرت بل إنه لا يشبه أى حيوان قد تكوني رأيتيه من قبل

تساءل «أبو الهزاهز» وقد دب الرعب في بدنه

ـ إذاً ماذا يكون .. إن كان لا يشبه أي حيوان نعرفه ؟ ليس أسداً .. ليس دباً .. ليس حتى ذئبا .. ليس حيواناً مما نعرف .. ماذا يكون إذاً؟ شيئاً هبط من السماء مثلا .. يبدو أنك امرأة مخرفة

نهرته «ذات الهمة» قائلة :

ـ اصمت يا «أبا الهزاهز» .. اهدأ قليلا .. ألا ترى أن المرأة في حالة سيئة ؟

ـ اصمت «أبو الهزاهز » وهو في قمة غيظه .. وحاولت« ذات الهمة» مساعدة المرأة على النهوض .. حينما نهضت المرأة اتجهت مباشرة إلى« أبى الهزاهز» قائلة :

ـ كيف عرفت يا سيدى ؟.. قل لى .. كيف عرفت؟

تراجع «أبو الهزاهز» مبتعدا عنها .. وكانه قد أيقن أن هذه المرأة بها مس من الجنون قائلا لها :

ـ عرفت ماذا ؟

أجابته المرأة قائلة بتساؤل

ـ كيف عرفت أنه قادم من السماء .. من أخبرك بهذا ؟

ابتعد «أبو الهزاهز» عنها متخوفا وهو يتمتم

ـ ماذا تقول هذه المرأة المجنونة ؟

قالت «ذات الهمة» باهتمام شديد

- ماذا تقصدين ؟

قالت المرأة وهي تعود لمواجهة« ذات الهمة »:

- أقصد يا سيدتي أن هذا الكائن قد جاء فعلا من السماء .

سرت همهمة بين الرجال وقلق .. قال «أبو محمد» باهتمام شديد

- انتظروا.. فليهدأ الجميع .. أخبريني يا سيدتى بالقصة كلها .. فأنا قد قرأت في الكتب القديمة عن مثل هذا الحدث .. وقرأت عن كائنات عجيبة هبطت من السماء .. أكملى من فضلك

قالت المرأة .. وهى تحكم عصابة رأسها

- أولا .. يجب أن تغادروا هذا المكان بسرعة قبل أن يهاجمكم ويقضى عليكم جميعاً ..

قالت «ذات الهمة» وهى تجذب المرأة معها خارجاً

- نعم يجب أن نغادر هذا المكان بسرعة .. وستأتين معنا .. إنك لم تخبرينا شيئا عنك .. من أنت

إمتنعت المرأة عن الحركة والسير مع «ذات الهمة» قائلة :

- أنا اسمى سارة .. أنا من جنود الجبل الأسود

أنا لن أخرج معكم .. يجب أن أنتظر هنا لأنال عقابى .. سيأتى حتما للانتقام منى .

نهرها «عبد الوهاب» صائحاً .

ـ ستاتين معنا .. حتى لو اضطررنا إلى حملك عنوة .

قالت المرأة :

ـ صدقونى .. إن لم أبقى هنا سيتبعكم ويقضى عليكم

قال «أبو الهزاهز» مهدداً :

ـ ليتبعنا .. وأنا ساحطم فكيه بقبضتى هذه

هذا إن كان له فكين .

خرج الجميع على عجل .. الغريب أنهم فوجئوا أنهم أمام المدخل الذى دخلوا منه أول الأمر .. قال عبد الوهاب

ـ كيف حدث هذا ؟ .. إنها فعلاً بلاد التيه .. دخلوا إلى المغارة .. فوجدوا خيولهم على حالها .. فركبوها وانطلقوا ..

قال «أبو محمد البطال »:

ـ إلى أين ؟ أين نذهب ؟ فى أى إتجاه ؟ قد نضيع في هذا الضباب..

قالت المرأة وهي تسرع لتتقدمهم :

- لا تخافوا .. إني أعرف الطريق .. سأبعدكم عن مناطق الذئاب .. هيا اتبعوني.

ساعات ساروا .. لم يسمعوا صوت ذئب واحد إذاً .. فالمرأة صادقة.. توقفت المرأة بين مجموعة من الأشجار .. وترجلت عن فرسها قائلة :

- سنعسكر هنا .. يجب أن نريح الجياد .. فمازال الطريق طويلاً..

حينما ترحل الجميع عاد « أبو محمد البطال» إلى سؤالها :

- لكنك لم تخبرينا .. ما هي حكايتك ؟.. وما هى حكاية هذا المخلوق الذى يرعبك إلي هذا الحد

جلست المرأة على أحد الأحجار .. حيث تجمع القوم حولها .. أجابت من بين دموعها :

- في أحد الأيام .. ونحن في تدريباتنا العسكرية فى القلعة .. وعلي حين فجأة .. سمعنا صرخة .. مدوية تبعتها أصوات وكان هنا أحد ما يتألم .. يعوى كالذئاب ولكن بصوت قوى .. مدوى .. رهيب .. ركبنا .. نحن الفرسان جيادنا .. واتجهنا ناحية مصدر الصوت في الغابة المجاورة شاهدنا .. كائناً غريب الشكل ضخم .. هائل الجسد وكأنه خليط بين الإنسان .. والدب .. والذئب .. له وجه بين وجه

الإنسان .. والدب أو الذئب له شعر أحمر طويل يكسو كل جسده ذو مخالب حادة طويلة وقد سقطت عليه شجرة تحترق أغصانها .. منعته من الحركة .. كان الكائن الغريب يعوى بصوت يكاد أن يصم الآذان .. ويحاول الهروب من النار .. والتخلص من جذع الشجرة الذى سقط فوق ظهره لن تصدقوا ما أقول .. لقد شعر كل منا وكأن هذا المخلوق .. الزاحف نحونا يحدثنا .. نعم لقد كان يحدثنا .. ولكن بدون أن ينطق بكلمة واحدة وكأنه كان على تواصل غريب بعقولنا .. طلب منا مساعدته .. بسرعة .. ثم نوصله .. إلى نهر أو بئر .. أخبرنا أنه لن يصيبنا بأى مكروه صدقه الرجال وحملوه إلى بئر قريب .. طلب منهم إلقاءه فى البئر .. وذلك بعد أن خلصوه .

سألها «أبو الهزاهز» متلهفاً :

ـ ماذا كان شكله؟ صفيه لنا مرة أخرى

رمقته المرأة بعينيها ثم أكملت

ـ قلت لكم كان كائناً غريباً .. لست أدرى ما هو .. ربما كان هجينا بين الأنسان والذئب .. الدب .. كان يكسو كل جسده شعر أحمر طويل مربى .. ألقى الرجال به إلى البئر ظل فى البئر ساعة .. ظننا أنه قد مات غرقا .

ولكنه ما لبث أن خاطب عقولنا قائلا بلا كلام

- أطفئوا هذه المشاعل .. أنا لا أحتمل الحرارة الشديدة

ما أن أطفأ الرجال المشاعل حتى هاجمنا بشكل مفاجئ .. وبدأ يمزق الفرسان والخيول بمخالبه القوية بعنف وقسوة . . سقطت أنا عن جوادى اختبأت خلف إحدى الأشجار .. ثم ما لبث صراخ الرجال والخيول أن هدأ ..فهمت أنه قد قضى على الجميع .. ما لبث أن سمعت صوت تنفسه خلف أذنى .. أغمضت عينى .. وأعددت نفسى للموت سيمزقنى في ثوانٍ .. فإذا به يخاطب عقلى قائلاً :

- لا تخافى .. لن أقتلك .. إن أطعتيني ..

علم أننى على استعداد أن أطيعه مهما كان .. على أن لا يقتلنى اقترب مني ونفخ في أذنى .. ففقدت وعى .. لست أدرى ما هى مدة فقدى للوعى .. أهى ساعات .. أم أيام .. حدث ولكنى حينما أفقت .. رأيت مجموعة كبيرة من الكائنات الغريبة .. يقومون بناء القصر الذى قابلتمونى فيه .. كان عملى أن أقوم بحراسته شخصياً .. قامت الكائنات بعمل بركة مياه عذبة مهولة .. أسفل القاعدة التى قابلتمونى بها كمكان سرى ينام فيه .. يبيت فيها حول المياه العذبة .. الباردة .. كان قد أحضرلي سيوف الصاعقة .. التى قابلتكم بها .. وتبارزنا بها وأنا لا أعرف من أين أتى بها ؟ أو من أحضرها له ..

وكيف صنعت عوائق قصره التي قابلتموها ؟

ما أن انتهت المرأة من كلامها حتى سمعت صرخة مهولة .. صاحت المرأة .. بعد أن قفزت واقفة صائحة

- إنه هنا .. لقد عرف مكاننا .. حتما سيمزقنا إن لم نهرب من هنا بسرعة ..

قالت «ذات الهمة »

- هيا .. اصنعوا مشاعل وأقيدوها بسرعة .

صنع الرجال المشاعل من ملابسهم .. وأغصان الأشجار وأضاؤوها بعد أن صبوا عليها النفط .. لقد كان كل رجل يحمل عدة قنينات من النفط .. فجاة أحس الجميع بمخاطبة المخلوق وكأنه فكرة في ذهنه .. قائلا ..

- أطفئوا هذه المشاعل .. سلمونى حارستى ولن أصيبكم بسوء

قال« أبو محمد» البطال آمراً :

- لا تستمعوا له .. لا تصدقوه .. هيا لنسرع .. إنه أبطأ حركة من الخيول المسرعة .

هكذا .. أسرع الجميع .. حتى أطمأنوا أنهم ابتعدوا مسافة كبيرة .. ثم توقفوا .. وهم يعلمون أنه لابد من القضاء عليه .. فهو حتما

سيجدهم فأجالت «ذات الهمة» بصرها .. ثم قالت :

ـ انظروا .. هناك :

قال «أبو محمد البطال» ..

ـ هناك أين ؟

قالت« ذات الهمة» :

ـ هذه الحفرة الكبيرة .. لنذهب ونرى مدى عمقها ذهب الجميع فإذا بالحفرة عميقة عمق قامة رجلين أو ثلاثة رجال .. قالت «ذات الهمة» :

ـ لنلقي بها ما تبقى من النفط لدينا ثم نلقى عليه بعض أغصان الأشجار .... ونغطيتها بأغصان خفيفة عليها بعض أوراق الأشجار والأتربة ونجعلها بيننا وبينه .. إذا ما هاجمنا سيقع فيها .. ثم نشعلها فيحترق .. فإنه لا يحتمل النار .

صرخ« أبو الهزاهز» معترضاً :

ـ ماذا ؟.. ماذا نفعل إذا لم يسقط فيها .. لأى سبب من الأسباب .. وسيهاجمنا .. ثم إنه يعلم الآن ماذا ندبر له .. إن هذا الشيطان يعلم ما نفكر به أجابته المرأة قائلة

ـ لا تخف .. إنه لا يستطيع التخاطب من مسافات كبيرة لابد أن يكون على مقربة منا .

قال «أبو محمد البطال » :

ـ اسمعوا .. هيا إلى العمل السريع قبل أن يقترب

وهكذا .. ألقوا بالنفط في الحفرة السحيقة ثم ألقوا إليها الكثير من الأغصان .. بعد ذلك غطوها بالأغصان وأوراق الشجر والأتربة .. حينما انتهوا قالت «ذات الهمة» للفرسان :

ـ لا يفكر أحدكم إلا بشئ واحد فقط إذا ما اقترب منا .. شيئ واحد .. هو أن يقول كل منا في ذهنه «هيا .. تعالى إلى .. اقترب منى.. سأقتلك بسيفي هذا » ثم إياكم أن يفكر أحدكم بالحفرة وما فيها .. هل تستطيعون ذلك ؟

قال الجميع بتركيز :

ـ نعم لا شئ في عقلنا سوى قتله بالسيف .. سنركز أذهاننا بقوة على ذلك .. سننسى تماماً أمر الحفرة ما لبثوا أن سمعوا عواء الكائن القوى قادماً إليهم فوقفوا مصطفين بحيث جعلوا الحفرة المغطاة بينهم وبينه خاطب عقولهم حين عرف اصرارهم على قتله بسيوفهم ساخراً

- ماذا ؟ هل تظنون أن سيوفكم هذه تقوى علي قتلى ؟ يالكم من بشر أغبياء ضعفاء .

ما أن تقدم إليهم حتى انهارت به الأغصان . سقط في الحفرة ولكنه أسرع وتشبث بمخالبه بالحافة .. حاول الصعود .. صرخت المرأة صائحة :

- أعطونى سيفاً .. هيا بسرعة قبل أن يصعد

تناولت سيف أحد الجنود .. وأسرعت إلى الوحش وظلت تضرب مخالبه المتثبتة بحافة الحفرة بسيفها .. ما كاد أن يترك حافة الحفرة حتى قبض بيده الأخرى على رقبة المرأة جاذباً لها معه إلى قاع الحفرة .. صاحت المرأة وهي تختنق

- المشاعل .. بسرعة .. ألقوا المشاعل .. احرقوه

لم تكد تنهى كلامها حتى مزقت مخالبه رقبتها تماماً .. أسرع الرجال .. بإلقاء المشاعل .. فما لبثت أن التهبت الحفرة .. صارت كأنها .. حفرة ضخمة من نار ولهيب .. ظل الكائن يصرخ صرخات هائلة .. حيث أمسكت النيران بشعره الطويل ثم ما لبث أن احترق تماماً .. ثم ما لبث أن انفجر بصوت مدوى .. وتطاير عاليا وكأنه بركان من نار وحمم ظل« أبو الهزاهز» يرقص بشكل جنونى .. وهو

يدور حول الحفرة .. ثم يتوقف ناظراً داخلها وكأنه غير مصدق أن الكائن احترق ويريد التأكد فيسبه .. ويبصق عليه .. ثم يعاود الرقص والغناء .. وكأنه لا يصدق أنه قد نجا .. حزنت «ذات الهمة» ورجالها من أجل المرأة التى ماتت بالحفرة .. استراح الرجال تحت الأشجار بعد أن إرتاحوا أرادوا أن يبدءوا مسيرهم ..

تساءل «عبدالوهاب»:

- إلي أين ؟

قالت «ذات الهمة»

- سنتجه شرقاً .. بحثا عن القلعة

قال «أبو الهزاهز» :

- كيف نعرف الشرق من الغرب .. ونحن وسط هذا الضباب الكثيف ؟

ضحك «أبو محمد البطال» قائلا :

- انظر إلى السماء .. ألا تجد أن جهة من الضباب أكثر بياضاً .. والجهة الأخرى أقل منها بياضاً ؟

أكملت «ذات الهمة »

ـ معنى ذلك يا «أبا الهزاهز» .. أن الشرق في هذه الجهة الأكثر بياضاً .. هل فهمت ؟

ابتسم «أبو الهزاهز» خجلا.. فأردفت «ذات الهمة »:

ـ هيا يا رجال .. يجب أن نجد القلعة .. ونأخذ جيشنا من «بنى كلاب» والسودان .. لا يجب أن ننسى مهمتنا الأصلية ..حرب «الروم» .. وتحرير مدينة «ملطية» .